

غسق

فداء محمد الكومي



عَسَق

فِدَاءُ مُحَمَّدٍ الْكُومِي

فَسَقُ

قُدِّرَ لَنَا مِنْذُ الْبِدَايَةِ أَنْ
نَشْهَدَ أَحْدَاثَ الْنِهَايَةِ..

فَسَقُ

وَبِتْنَا رَاضِينَ غَيْرَ سَاخِطِينَ ...

فَسَقُ

غَيْرُ أَنْ دَاخِلَنَا يَتَأْوَهُ..

فَسَقُ

إهداء

إلى من إستجمع قواه ، ولم شتاته بنفسه ...
هنيئاً لك ..

تَعَلَّمنا في مدرسة الحياة ، فهمنا جيداً
أن الحزن يعقبه فرح و الفرح يعقبه حزن ،
لكن لم يخبرنا أحدٌ أنها قد تجتمع مرة واحدة حزن تلو حزن تلو ألم تلو وجع
لنرى الغسق بعد تراكمها

...

لم يخبرنا أحدهم أن الشفق يعقبه غسق
وأن الغسق يعقبه شفق
فلا شفق دائم ولا غسقاً ...
دائم !

مقدمة

على شاطئ ذا رمال ذهبية كالؤلؤ ، سقطت الشمس في البحر ..
سقطت ،
وأضأت السحب بلون برتقالي خريفي ،
كأنها تنعى رحيلها وغيابها ...
الشمس ستعود لتشرق غداً لكن .. السحب لن تعود أبداً
ولن تشهد الغسق الجديد ،
الذي تبكي السماء فيه مرة أخرى على رحيل الشمس ،
لتشع لوناً هو أشبه بلون الحزن المرّ ...

الغسق ..

ليس شرطاً أن تراه العين ...
قد يراه القلب وتبكي الروح على إثره !
يحل هو .. فيتحول لون العين إلى أحمرٍ قاتم ،
ثم تنفجر .. كالغيمة التي تبكي ...
يضخ القلب الدم بشكل غير عادي ، يجعل العروق بارزة ،
ليحل الخريف .. فتسقط الذكريات علينا ويحط الحزن أسماهه على أرواحنا ...
ثم نعاود النهوض ..
فنشرق مع البشائر .. في فصل الربيع !

الفصل الأول

"لواعجُ الأسي"

١

تلمع عيناك .. وأنت تبتسم مجبراً ..
يقولون إنها لمعة الحماس والتشويق ..
وما درّوا أنك تحبسُ الدمع ..
تلمع عيناك لشدة ألمِ قلبك وتصدّعه ...
لم يعلموا كيف يفكر عقلك وكيف أنهكت روحك ،
لم يروا تلك الندوب ..
لم يدروا كم أنت "حالك"
كيف تقاوم ألف جهةٍ وحدك ...
أنت المحارب الوحيد في معركتك .. وإن خسرت ..
فأنت قائدٌ فاشل !

إنهم كالأيام .. كورق الشجر ...
عندما يرحلون لا يعودون وإن طُبقت السماء على الأرض ،
وأنا لو كانت نهاية العالم ما أعدتهم إلى غُصني ،
فقد حان الخريف ،
والورق الذي ذبل عليه الوداع
وداعاً !

وأراهم يتحدثون ،
لا أسمع ،
أرى شفاههم تتحرك فقط ، تُتمتم ...
أشعر بعزلة ، كأنني مغيبٌ ذهنيًا ، لا أستطيع الرد ،
حتى لم أستطع إخبار أحد عما يتحطم داخلي ،
وريداً تلو وريد .. يُقطعون ويتركون خلفهم ناراً
محرقةً في القلب..

٤

لن نسلك طريقًا مشت فيه الكلابُ يومًا ،
لن نشرب من بئر ولغت فيه أبدًا وأن متنا عطشا ،
نحن إما موت عزيز وإما عيش عزيز
"موت الفتى في عزةٍ خير له
من أن يبيت أسير طرفٍ أكجلٍ"
رحمك الله يا عنتره ، صدقت وكفيت ووفيت ،
فلا تعتقد الكلاب بأن ذئبًا سيمضي من هنا ،
إنبحوا بأعلى ما تملكون فنحن
"إذن من طين وإذن من عجين"

اللسعة الأولى كادت تكون مميته ،
لكن اللسعة الثانية تكون أخف ،
والثالثة لا تساوي شيئاً ...
هكذا نحن في الحياة ،

يتعرض المرء للغدر / الخيانة / الهجر / الفقد - مرةً في عمره
فتهون بل بتهووووووون كثيراً عليه .. بقية اللسعات
نعم لن يخلو القلب من الوجد لكنه إعتاد ..
لا نسميه متبلداً لكن الحياة فعلت به ما فعلت
فلا تلومون من قاسى الألم ليالٍ
ومات وهو على قد الحياة !

قطعت كل السبل الموصلة إليك،
أوصدت الأبواب واغلقت النوافذ ،
قصت ذكراك من مخيلتي ،
إنتهى ما بيننا كله ، فأنا أغفر للأحباء مره وللأخلاء مرتين
وللأصدقاء ألف مره ،
لكن وصلت الثالثة وما عدت أطيق غفراناً !

مرةً أخرى أنا التي لا تتعلم ...
وضعتُ يدي وأرختهما ثم إبتسمتُ ...
ثم طارت كأنها لم تكُ صديقتي من قبل!
أنهكني المسير الى منتصف الطريق ثم الإفلات ..
لكثرة جراحي لم أعد أسحب السهام التي أرهقتني ،
باتت جزءاً مني ، أمشي والدم يسيل خلفي ،
ولا أعلم أين المسير بعدهم؟
ذلك عتبي ، أنا نمسك أيديهم لندخل معهم في دوامة ثم ... في
منتصف الطريق وداع ..!

٨

بعضُ المعارك لا مهزوم ولا منتصر ،
ولا فائز ولا خاسر ،
بعضها يكونُ الطرفين .. خاسرين

كل الدلائل تشير إلى أن الإستمرار ..
”إنتحار” !

فيتوجب عليك
جمعُ رقاقتِ قلبك وأسمالِ حربك البالية ،
والوداع ..
لأجلِ أن يبقى جُزؤك الحيُّ على قيدِ الحياة!

إنه السطر الأخير...
يتراقص الحزن على المسرح رقصة الوداع ،
ككلمة لاتعلم موقعها من الاعراب..
كقافية أضاعها الشاعر ولم يستطع نظمها ..
كالفاصلة .. لا تسمن ولا تغني من جوع!

ماعدت أشتاق رؤية ذلك ، إنتهت الحكاية منذ زمنٍ ، لكن ...
هناك من يعبث حتى يطيلها...

لم أكذب قط في مشاعري ، لم أقل أشتاق لك أو أحبك ،
لم أسأل عنك عند غيابك ولم أعاتبك أيضاً ،
كُل يومٍ أردد متى أنتهي؟

لأول مرةٍ أتوق للرحيل ، للبعد ، بل إن تطلّب ذلك الهجر أيضاً !
" أمات نفسي وأحياها ليقتلها
من بعد إحيائها لهواً بها وودداً "

لكنني لن أسمح لك بتسديدي طعنةً ...
فقد إكتفيت ...

لربما تريني سراّباً .. وذلك أجمل بكثير بالنسبة لي ،
لأنني لا أتمنى لقياك !

١١

ليتك هُنَا يَا أَبَا الطَّيِّبِ ..
لَمْ نَبِتْ " نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا"
لَمْ نَسْتَلِذْ بَعْدَ بـ " نَمَسَحُ عَنْهَا دِمَاءَ الْعَدَا "
الْجَرِيحُ هُوَ الَّذِي يَدَاوِي نَفْسَهُ هُنَا يَا أَبَا الطَّيِّبِ ،
وَالنَّفْسُ الْأَخِيرُ فِي الْقُدْسِ يَحْتَضِرُ .. لِحْنِ الْوَدَاعِ .. قَاسٍ
قَاسٍ جَدًّا ..

لَمْ نَذُقْ هَذِهِ اللَّيَالِي طَعْمَ قُبْلَةِ السَّيْفِ !
وَعِزَّةً .. عَلَى السَّطْرِ الْأَخِيرِ .. تَنْتَفِضُ ، لَا نَقْطَةَ تَوْضِعَ فِي الْخَتَامِ
...

لَأَنَّهُ بِبَسَاطَةٍ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَقْدَمَةً لِنَضْعِ نَقْطَةِ لِلْخَاتِمَةِ .. الْغِنَاءِ
لَمْ يَبْدَأْ وَاللَّعِبُ لَمْ يَنْتَهِيَ ..
نَنْعَى أَنْفُسَنَا الضَّالَّةَ .. وَنَبْحَثُ عَنْ بَقَايَا اللَّحْنِ ..
مَنْ الْجَرِيئُ الْقَادِرُ إِكْمَالَهُ؟

"حَيِّ الْمَأْذِنِ تَحْتَ الْقَصْفِ تَبْتَهَلُ"

لن نسلك طريقًا مشت فيه الكلابُ يومًا ،
لن نشرب من بئر ولغت فيه أبدًا وأن متنا عطشا ،
نحن إما موت عزيز وإما عيش عزيز
"موت الفتى في عزةٍ خير له
من أن يبيت أسير طرفٍ أكجلٍ"
رحمك الله يا عنتره ، صدقت وكفيت ووفيت ،
فلا تعتقد الكلاب بأن ذئبًا سيمضي من هنا ،
إنبحوا بأعلى ما تملكون فنحن
"إذن من طين وإذن من عجين"

إِعتدْتُ البقاءَ على قيد الأمل والرجاء ..
رغم أن قطع الأمل أهون وأخف وجعاً من الإنتظار ،
بتُّ ليالٍ في الخيال .. أُحاول التخيّل لكنني حرّمته ،
إِعتدتُ إنحناءَ ظهري واحددابهُ كأنني جدة في الخامسة
والسبعين من عمري ، لكن عقلي لا يزال نشطاً ،
أو بالأحرى لا يُريح نفسه من التفكير ،
ألفت الإنتظار ، فما عاد ذلك يزعجني ..
وفجأةً ليقطع ذلك الأمل وأُطرد من مقاعد الإنتظار ..
بكل يأسٍ وآلمٍ أذهب مرغمة ..

فَسَقُ

الفصل الثاني

"حُطَام"

١

قالت لي " لستِ المحاربة الوحيدة ... "
وصمتنا ولم ننظر لبعضنا أبداً
لقوة هذه الجملة كدت أبكي ،
لست المحاربة الوحيدة .. أحارب بجوارك لكن لا أراك كثيراً
...

حاربت كثيراً مع من أحب، وكنت الناجية الوحيدة
فلم أعلم أفرح أنني عدت أم أندب نفسي
لأن فقد الأحبة موت آخر؟
تتضح لي خيالاتهم من بعيد .. ثم تختفي .

كادت تسقط الدمعة من محجري،
في لحظة خُطف فيها قلبي ...
أو بالأحرى طُعن حتى بدى ميتاً ..
وكاد يغشى عليّ من الألم ..

كل الأقوياء ضعفوا احد الأيام ...
كل الواقفين كسروا يوماً ما ...
لا الجبل يبقى جبلاً طوال العمر ...
ولا الهضاب تبقى صغيرة دائماً ...

٤

تلقي نظرةً أخيرةً ، قبل أن توصل هذا الباب المؤدي له ،
لذلك الوجع ، الذي يحفر بين أضلعك حفراً ،
تعلم جيداً إن اغلقتة ... سيستعصي عليك فتحه ،
فكم كلفك الوقوف بشجاعة أمامه ؟
كيف لك أن تقف هكذا ؟
ترتعد ...

من .. شدة الوخز وليس من شدة البرد ..
كم كلفتك رؤية تلك الورقة الممزقة في الذاكرة ؟
...

ماذا خسرت ؟ خسرت إبتسامتي ، وروحي المتقدمة ،
فقط عند محاولتي لكسر حاجز خوف ، وفتح ذلك الباب
الذي تغلقه الرياح ..
تخاف الريح على قلبي ..
لكن لست أخاف أنا سوى أن أتخذ ردة فعل ستؤذي ذاكرتي ..
وتكسر كبريائي .

يأسرني الصمت ، يجرفني إليه كثيراً ،
فهو أعمق المتحدثين وأبرعهم ،
للصمت صوت ، للصمت لغة ،
فأنصت ، لربما يكون عزاءً وربما يكون نحيباً
وربما يكون ألماً!

٦

البحر لا يبكي ابداً ،
بل يغضب أحياناً فيرتفع
ويحزن أحياناً فينخفض ،
لكنه لا يبكي إلا إذا بكت السماء !

٧

أكره إعتقاد أن العالم لا يخطئ ،
والمتفائل لا ييأس ،
والقوي لا ينكسر ،
والصلب لا يذوب ،
توقفوا فما زلنا بشرًا ،
مالخطأ إن هزمنا مره؟
مالخطأ إن تلعثمنا أخرى؟
أم أنكم إعتدتم قوتنا فرأيتمونا ملوگًا؟
مابالكم تلومون القوي إن كُسر يومًا ،
ما كانت مرةً لتكسره ، الشجره لا تسقط بالضربة الأخيرة
وإنما إنهالت عليها الضرباتُ حتى سقطت !
الحديد لا يذوب مجرد أن تطاله النار ،
يكون متماسكًا حد اللهب ثم ينصهر !
ثم إن الشجر ينبت مرة أخرى
والحديد يتصلب من جديد!

٨

على سبيل الأمل أن نلتقي ..
وأين سنلتقي بعد
أن شتت الحياة ذِكرنا،
وبعثت أرواحنا ،
ورمت كل واحد وهواه في زاوية؟

كلوحةٍ بيضاء فارغة ...
خالية من كل شيء ،
من الألوان ، الأشكال
الرسوم ..
خالية إلا ... من الهم!

أَتَأْمَلُ السَّمَاءَ الْوَاسِعَةَ وَ السَّحَابَاتُ الَّتِي تَمُرُّ،
أَنْتَظِرُ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيَّ مِشَاعِرٌ دَافِئَةٌ،
أَوْ أَنْ يَنْمُوَ لِي قَلْبٌ آخَرٌ.

أُطالِعُ السَّماءَ بِكُلِّ هَدوءٍ ،
أُنْتَظِرُ أَنْ يُبَشِّرَنِي أَحَدُهُمْ بِالنَّهائِيةِ ...
أُتَطَّلِعُ بَلِّ أَتَشوِّقُ إِلَيْهَا ، أَتَعْجَبُ كَيْفَ كُنْتُ أَجَاهِدُ مِنْ أَجْلِ
البدايةِ ..
وَفِي المُنْتَصَفِ ما عَدْتُ أَحْتَمِلُ ،
رَفَعْتُ كُوبَ القَهوَةِ .. لَكِنْ يَبْدُوا لِي أَنْ ذِراعي لَمْ تَعُدْ تَحْتَمِلُ
حَمْلَ أَيِّ شَيْءٍ ..
فانْسَكَبْ .. وَبِدا لِي أَيضاً أَنِّي فَقدَ الإِحْساسَ ،
فقدَ تَحسَّستُها عَلى مَلابِسي ، بَصَمْتُ ...
وَطالَعْتُ كَيْفَ صارَ شَكلُ مَكتَبي ،
لَمْ أَفْعَلْ كَما يَفْعَلُ المَحارِبُونَ ..
يَنفِضُونَ ما عَليهِمْ وَيَبْديلُونَ أَثِيبَهُمْ بِجَدِيدَةٍ ،
يَمسَحُونَ ما إنْتَشَرَ .. فَقطَ بِكُلِّ هَدوءٍ أَيضاً ذَرَفْتُ الدَمْعَ ..
يَقولُونَ أَنْ كُلَّ يَومٍ بِدايةٌ ... لَكِنْ أَتمنَى الآنَ أَنْ تَكونَ كُلُّ دَقيقَةٍ
نَهايةً ...

تمنيتُ الأ نلتقي .. أبداً
ولا أرى طرفكِ قط .. ولكن لا تحكم لنا في الأقدار ..
برغمِ أني دعوتُ من كلِ قلبي ..
لكن هانحن نلتقي من جديد على تلك الضفة ..
أغض البصر ويكأنني لا أرك ، لما .. لما أنت بالذات على نفس
الأرض التي أنا عليها؟
لما حين تمنيتك كنت على النقيض الآخر ..؟
و حين كرهتك رأيتك جانبي!

فَسَقُ

الفصل الثالث

"وَجُوم"

بعض الندوب لا تختفي مع الأيام أبدًا ،
بعضها يوماً تلو الآخر تغطيه رياح الحياة ورمال الذكريات
فنسى موضعه ،

والبعض الآخر مالا يُنسى ولا يُفقد شعور الحزن فيه ،
نتعامى عنها حتى لا نتحسسها من جديد فتسقط قلوبنا ،
وتنهمر دموعنا ..

نتعامى عنها لأجل أن نبقى أمام الآخرين بكامل كبريائنا ،
نضحك ونغضب ونتحدث ونمشي ،
لكن تحت ذلك الغلاف هناك أشياء لو تذكرناها لوهلة لفقدنا
السيطرة على مدامعنا .

يحدث وأن يُشق مكان الندبة مرة أخرى ..
مرةً بصوت أحدهم ،
صورة له ،

أو موقف يذكرنا بما حدث ،
فتعود مرة أخرى لتصبح جرحًا غائرًا ،
لنعود فنتألم منه من جديد ثم مرة تلو أخرى نقوى على أن
نقف بجوار هذا الجرح
حتى يبرأ ...
لنعود كما كنا ، في ظاهرها وأمام هذه الذكرى في أعين
من حولنا نحن بخير
بينما بين أنفسنا ...
لسنا بخير مطلقًا

فلا قمر ولا نجوم اهتدي بها ..
غاب القمر وأفلت النجوم ،
ورحل الحنين ،
وبات الألم ، يشق طريقه للقلب شقاً ..!

أعرف ذلك الشعور،
لا تكاد تخرج من هم لتدخل آخر ...
وتحمد ربك على كل شيء ،
أتفهم شعور الراحة الغير مسبوق حين تتعافى من صدمة
باتت تسهرك ليالٍ!
أتفهم جداً ذلك الوجد عندما تخط جرح قلبك ،
بدون مخدر بدون أجهزة ،
تخيظه وأنت لا تدري أتبكُ ألمًا أم تبكُ لأن قواك خارت؟

٤

المدمع في العين نعم ،
لكن الدموع ليست ماءً فقط !
فللقب مدمع ودموع ،
وللروح مدمع ودموع ،
وللعقل ... مدمعه اللسان
ودمعه أفكار!

كثرت اللغات ، وتعددت اللهجات ،
ولكن مازال في القلب شعورٌ لو خُط بالدم ما كفاه ،
شعورٌ لو قيل فيه مميت ما وقَّاه!

أيقنا متأخراً أن الدنيا لا تستحق كل هذا ،
أيقنا أننا خُضنا معارك ليست أهلاً لنا ،
أدركنا أننا متنا ونحن على قيد الحياة مرآةٍ عده ،
أيقنا بل وعلمنا أن " في الناس أبدال وفي الترك راحة "
كما قيل أن تصل متأخر خير من ألا تصل !

٧

وجوم..
الوجوم هو أن يحزن المرء حتى يصمت ،
حتى لا يكون قادرا على الكلام ،
ولا البكاء حتى ،
كمراءة مكسورٍ لا يمكن تجميعه ،
كفتات وشظايا صار قلبك !

أيقنا متأخراً أن الدنيا لا تستحق كل هذا ،
أيقنا أننا خُضنا معارك ليست أهلاً لنا ،
أدركنا أننا متنا ونحن على قيد الحياة مرآةٍ عده ،
أيقنا بل وعلمنا أن " في الناس أبدال وفي الترك راحة "
كما قيل أن تصل متأخر خير من ألا تصل !

أجمني حزنك مني ،
فكنت كغيمة بكتب ولم تبقى
قطرة لم تروي بها الصدع الذي كان في أرضها ،
بكيت من داخلي ،
كنت أهيم في عالم أخشى عليك لفرط
رقتك أن يمسك الماء فيخدشك!
بت الليله فتاة الوجوم واسيرته ،
وخطت من دمي وجومي!

يقول تميم البرغوثي:
" شر البلاد مكان لا صديق به
وشر ما يكره الانسان ما يصم "
ماذا ان كان شر البلاد من به صديق متصنع الود ؟
أليس أهون يا تميم أن نعيش في وطن فيه قبيح العداء؟

يا جواهري من ذا الذي
" فيا داري إذا ضاقت ديارى
ويا صربي اذا قل الصحاب "؟
أين أجده؟ وقد فنى كل أصحابي ورحلت أنا ..
من ديارٍ لم تعد داري !

في منتصف الحديث والإنسجام ،
ويكأن رصاصةً تخترق قلبك ،
وخز الوجع فجأةً
قرر قرع طبوله على قلبك ،
لا تعلم أتُكملُ الكلام أم تجاهد في كتم تأوهك؟
وتصمت فجأةً كأنما عُزلت لحظةً عن العالم ...
أنت وألمك .. فقط ، حيث لا أحد جوارك
ولكن يقول لك قلبك : ساعديني فلم أعد أحتمل !..

الحياةُ عُرْسٌ أُقيم على جوانبٍ من مآتم،
لبس الحاضرون فيه أسوداً،
يعزون أنفسهم ، فهم موتى على قيد الحياة ،
تلك التي جعلتهم يشقون بعقولهم وجعلت الجاهل في
الشقاء متنعم ،

على حد قول المتنبي

" ذو العقل يشقى في النعيم بعقله "

غردت الطيور آخر تغريدةٍ ورقصت رقصة الذبح الأخيرة ..
وآن الرحيل !

إليكِ جدتي ،
علمتُ سرَّ الصمتِ الذي يعتريك ..
علمتُ الآنُ لما تفعلين فقط ،
جدتي لم تخبريني بذلك لكنني فهمته جيداً ..
الدرس الأخير يا جدتي مؤلم ..
وذلك ما أجمكِ حتى أوجمكِ !

١٤

رجفةٌ أخيرةٌ ... يحقُّ لك .. ونفسٌ أخير..
أخير ريقٍ في بلعومك.. بكل خوفٍ تبتلعه ..
وأخر نبضة .. وصرخة تسمعها ..
فما عدت تقوى النحيب حتى ..
فنى قلبك من الدماء ، بت أصفرًا كورقة شجرٍ في فصل
الخريف ..

فَسَقُ

الفصل الرابع

"عَبَقُ"

١

وقد عرفت الطريق لكن لم تعد أرجلك تحملك،
إتضح لك كل شيء عن كل شيء لكن عيناك ..
لم تعد تبصر جيداً ،
فهمت لكن عقلك أنهلك واهترئ ..

فماذا بعد؟

عن أولائك صناع الإبتسامة ، نراهم فنضحك ، أولائك الذي
يختفي حزنك بلقياهم فقط ،
يخبرونك بكلام تقوم وتقعده ولا تعرف كيف ترد جميلهم

بودك أن تكون في هدوء مع الهدوء تعيش لأجل الهدوء ،
تود أن تختلي بنفسك ، تنعزل عن كوكب الأرض ،
تحمل أسمالك البالية وذكراك وأحبابك... وترحل
بعيداً عن المآسي عن قلب الأمزجة الذي بات لا يحتمل ،
بعيداً عن هذه المهازل التي تراه عينك كل يوم مجبرة !

ثمّ ما يحملك على البقاء صورة والدتك في ذاكرتك ،
كلمة صديق يمازحك ،
أن تتذكر كما عشت أياماً سوداء فقد عشت أياماً لا مثيل لها ،
لكل منا ذكراه التي قد تردعه عن إتخاذ قرار الرحيل أو البقاء ،
إنها مشاعرنا وهم أحبائنا

٤

أوراق الشجر تسقط..
بلا رغبةٍ منها في السقوط ،
لا يمكنها تثبيت نفسها على الغصن ،
هي مجبرة أن تقع أرضاً ،
لن تكون مخيراً دائماً ،
ستجبر يوماً على أن تدخل مجتمعاً لا أراك اله ماهيته ،
ستخوض أحداثاً لو كان بيدك أن تنسحب لانسحبت ،
لكن ليس كل شيء معك
لنعلم يقيناً أن الخير في كل الأمور لو بدت شراً
وسيتضح ... مع الأيام

تزينت السماء ،
وزُفَّت بأبهى حُلِّها ،
كانت مرصعةً بالنجوم الامعة ،
وبدا القمر كالؤلؤة تزين جيدها عندما أكتمل !

ثم ،
تضع رأسك على الجدار ... تتوكؤ عليه ..
للتذكر فتذرف عيناك الدمع ،
ويدعو عقلك المزيد من الذكرى ،
صورة أولائك الأحباب التي قد إهترئت لكن
ملامحهم مازالت بارقة ..
أصوات الأصدقاء ...
هتافاتهم ...
لتأمل كم من الأمتار تباعد بينكم
ولم تبعد ذكراهم عن مخيلتك قط ...
وإبتسامة من تحب ووجوههم كأنهم ليل نجوم !

٧

يخبئك الله لمن يشبهك"
صحيح يا عبقي ويا غيمتي ،
لمن يشبه أرواحنا بل أفئدتنا ...
يخبئنا لكي نعلم أن عوضه كبيرٌ عظيم !

٨

اللهم براءة الأطفال وطهرهم ،
ياصغار يالكُم من براءء ،
تدعون الله أمام البحر أن يرزقكم قصرًا؟
تدعونه أن يطيل أعماركم؟
كيف لا وأنتم أحبابه؟

لم يك القلب مخطئاً البته ،
نعم لم يكن طيفاً وإنما من تمنيت لقائها فعلاً !
القلوب على نواياها تقع !

أيجمعنا حديث الشاي يوماً؟
كما يود قلبانا ، تحت القمر ،
على طول البحر نسير ، ننسى ذلك العالم خلفنا ،
ونركض في عوالمنا ، كما تحلقنا كأرواح قبلها ،
كأمنية عالقة في الرجاء ، أن نخط سويًا إسمانا على الرمل ،
ولنكتب أبياتًا ثم لتمحوها المياة ،
لنكن صغارًا بعض الوقت ، ولننسى أننا قد كبرنا !

تحت القمر كروحين تجاوزا تحدثنا!
عندما أنهيت صنع قهوتي .. إنتهى حديثنا ..
فنحن لم نُنطق صبراً على ما في قلوبنا ،
فما يحويه القلب كبير جداً ، ولكم تمنيت الجلوس معك إلى
مالا نهاية فكلك تفاصيلي التي لا تنتهي ،
وكتبي التي أحب ،
وحكاياي التي لا تُمل!

كنت أحتسي قهوتي ، أطالع رسائِلنا ،
كيف كُنا وكيف صرنا ، وأنا لازلت أستعذب حديثك ..
وأرى قهوتي أصبحت مُحلوةً عن قبل ،
لا أمل حديثك ولا الجلوس لساعات وأنا أكتب لك ،
ما عرفت ألماً بعد عودتك ،
فكنتِ كبلسمِ الجراح وعلاج لأي داء !

يبقى الإنسانُ مُرتبطاً بمواطنٍ يجدُ فيها ارتياحه؛ يبقى
مرتبطاً بمفهوم البيت: الأمن والدِّفء والسَّكن، وقلبٌ
يطمئنُّ تماماً لمخزونِ الحبِّ والسَّعة فيه، تعرفون أنَّ
القلوبَ أيضاً بيوت! تأوينا ونستظلُّ في مدى اتِّساعها
لنا، نسكنُ فيها وإليها، ونحبُّ انطباعَ صورنا على
جُدُرِها، نطمئنُّ أنَّها بها!

١٤

عُذراً سبيستون الجميلة فالحياة لا " تهدينا أضواءً آخر النفق "
أو لربما هو ضوء على شكل صديق ..
قريب بلسم للروح .. يُطيبُ يداك بعد أن جُرحت بعد أن
خرجت من النفق .. أو لنقل سرداب يا سبيتون فقد كانت
هناك معارك كدنت نموت فيها .. وبعض العراقيل التي
كادت تُطفئنا ..
ثم تمثل لنا الأمل أو طوق النجاة أو الهدية أو " الضوء "
في إبتسامة ...
في عينين ...
في كفين ..
في طيف احياناً ...

أنتِ الوحيدة التي أتمنى أن تعود لي أيامي وماضي كُلُّه
معها ...

كُلُّ يومٍ أتمنى ألا تنسى تفاصيله ذاكرتي ، وأتمنى
ألا نقع على النقيض ..

أساساً كيف لنا ونحن نتشابه في الكبيرة والصغيرة؟

يُغْلَقُ الصديقين باب قلبهما على بعض ،
لِيُعلنَ كُنْ منهما أَنه لا يريد صديقاً سوا ذا ..
كخليل ورفيق وأم ومعلم وأخٍ وأخت وكل شيء ..
يكتفي ..

بينهُ وبين العالم ألف ميل ، يتسم ويمازحُ بشكل عادي
يشارك البشر كل شيء .. لَكِنَّهُ في البعد الآخر ينتظر ..
أحب الناس إلى قلبه ذلك الخليل الذي سكنه ..
بينه وبين رفيقه صفر مسافه .. هكذا هم !
الأصدقاء الحقيقيون إخلاء للقلب ، كحبٍ مغلقٍ أخير ،
وكرسالةٍ للذكرى هي شيفرةٌ بينهم
نظرةُ العين وخطفةُ اللقاء !

فَسَقُ

الفصل الخامس

"البشائر"

إِنَّ الْحُرُوفَ تَنْبِضُ ...

فَسَقُ

١

فقد الأحبة موجه،
موجهٌ جداً،
يُقَدِّرُ الله أن يأخذ الموت قطعة من الروح لكن ..
هو الموت قادمٌ لو كُنَّا في بروجٍ مشيدة..
من تمنينا لهم البقاء
لنا معهم لقاء في مكان هو في الجنة أطهر،
فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ،
فقط لنجتهد لنلحق بمن أحببنا ،
لنحيا بقربهم حياة سمرمدية ،
لنعمل صديقتي لنلقاهم ..
رحمكم الله فُقَدائنا ..

"وإذا البشائرُ لم تَحِنِ أوقاتها
فلحكمةٍ عندَ الإلهِ تأخرتُ

تجري دموع اليأسِ منكِ وربما
عند الصباحِ ترى البشائرَ أنورتُ"

عند الصباحِ نرى البشائرَ ، مع الشفقِ نراها ، وعند بداية
الغسقِ نستبشرُ قدومها ...

فلا بشائرَ على القلبِ حانيةٍ وعلى الروحِ دافئهٍ إلا بعد صراعٍ !

ككل أمنية يتمناها المرء كل يوم ،
أن يرى من يحب بخير وفي خير
قد يكون مافي قلبه أعظم وأكثر ،
لكنه يكتفي ويصبر على ما لا يستطيع
بالنظرة والابتسامة ،
كبلسمٍ يشفي الجراح التي خلفها ...

٤

ووضعتني الله في الخريطة ،
خريطة الكنز ... ابحث عنه ، وكل خطوة تشعرني
بسعادة عاااارمة ،
وكان الكنز .. لقياك!

أفلت النجوم اليوم ، وغابت الشمس أيضاً ،
فلم يكن في اليوم بشائر ،
إنه الغسق ،
وقد بدأت شمس قلبي بالسقوط في عمق المحيط
ولن تستيقظ حتى ..
تهل البشائر عليّ ، إلى حين الشفق
فتوقظ شمس قلبي
وتمطر على بساتين روحي ..

٦

الحياة تكمن في عينا احدهم ،
بنظرة تشفي جراح فؤادك ،
الحياة تكمن في صديق بل خليل هو أقرب
إليك من اعز أصدقائك ،
لا تهديني الحياة وإنما يعوضني الرحمن عما لقيت ،
ومالهداية كلها سوا إسمٍ وطيف يجعلناك سعيد طوال اليوم !
الله يمنحك الضوء في يديه ، في يد ذاك الصديق انت تُضاء ،
مالنا نهوى الأصدقاء بل نضعهم أخلاء ؟
نقاء الروح وطهرها وصفائها يجمعها ربي في كائن هو أشبه
بالغيم ، عيب علينا أن نشبه الفريد عيب ،
يكون لك كالقمر في عمق الغياهب
يكون شعلتك التي تضيئك عندما كدت تنطفئ
ككل شيء في حياتك تفعله ثم تفكر به !
من ذلك الصديق بربكم؟؟؟

كالأميرة الهادئة ،
تملك في جسدها روحين ،
رُوحها الراقية وروح من أحببتها حُبًّا جَمًّا ..

٨

زحف القمر.. حتى رحل آخر السماء ..
وبقيت أنا أحس بقمري ... لم تبرح كلماتنا بعد ،
ولم تنته أحديثنا ..

...

للأرض قمر ولي قمر .. قمر لا شبيه له في الوجود ..
إن ذكرت الحسن فهي بحر وإن ذكرت الرقة هي آنسه
وإن ذكرت اللطف هي أميرة .. وإن ذكرت روعي ..
فهي التي أسرتها ...

أما إن ذكرت قلبي .. فإسمها مع كل نبضة ..
بئر أسراري كان واسعاً فارغاً ،
بعد أن عرفتها إمتلئ .. حتى باتت بين النفس وعقلها ..

: هل تعلمين أني أكتفيت بالحديث معك عن أحاديثهم ؟
: هل تعلمين أني أكتفي بك ولا أكتفي منك ؟

كيف أكون بدون الرسائل الصباحية التي تضيئ قلبي ؟
كيف أصبحت أحب الصباح أصلاً ؟
كيف أصبحت أستلذ بالقهوة في كل رشفة ؟
كيف أنا.. بدونك وبدون تفاصيلك الصغيرة ؟

لم أكن لأسأل نفسي سوا ..
لما أفكرُ بكِ هكذا ؟
لما ؟

لما كل خطوة أخطوها أرى طيفك أمامي ؟
لما أشردُ كثيراً لأنني لم أركِ ولم أطمئن على حالك بعد ؟

لما ولما ؟
وإبتسامتك و صباح الخير تبقى عالقة .. تأبى الخروج ؟
وساعتي .. صرتُ أفتحها لأقراء دُعائكِ لا لأرى الوقت ..
فوقتي بدونكِ عبث ..!

لي ذلك العالم الذي ينعتونني به
" لكِ عالمك الخاص "

لكن كان كونًا ذا نجومٍ فقط ..
وكنتُ أؤمنُ أن ليلي جميل ..
وسماؤه جميلة .. أحبُّ كوني وعالمي ..
وما كانت لي شمسٌ به أبدًا ، فقد كنتُ أَلجُ وحدي ،
وكنتُ أسري إليه ليلاً ، كانت لي نجوم وهي طريق هدايتي ،
وكل نجمٍ يعني شخصًا في حياتي ،
لم يكن لدي قمرٌ كُنتُ أحبُّ الكتب وكانت مصابحي ،
لكن عندما عرفتكَ ..
كدت أجزمُ أنني رأيت بداية القمر
ونشأته وتكوّنه ،
لم يكن إصطدام نيزك ،
بل إصطدام أرواحٍ وأعين ، أبت أن تدعني وشأني ...

كُنْتُ أُرْتَبُ نَجُومِي وَأُعِدُّهَا ،
لَكِنِ الْيَوْمَ هُنَاكَ مِنْ وَضَعِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ!
وَلَيْسَ نَجْمَةً ، وَإِنَّمَا قَمَرٌ ، أَصْبَحُ لَدِي قَمَمِرًا!
هَذَا الْقَمَرُ إِنْ ابْتَعَدَتْ قَلَّتْ مِيَاةُ بَحَارِي ، وَجَفَتْ أَنْهَارِي
وَحَدَثَ جَزْرٌ مُخِيفٌ ،
وَإِنْ اقْتَرَبَ كَادَ تَفِيضٌ حَتَّى تَغْرِقَنِي ،
أَتَعْبَتَنِي أَيُّهَا الْقَمَرُ .. بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَسَافَةٌ
وَإِنْ كَانَ بِيَدِي لَقَفَزْتُ وَإِرْتَمَيْتُ بَيْنَ أَحْضَانِ تَرْتَبِكَ ،
قَمَرِي .. الَّذِي لَمْ أَرَى لَهُ فِي الْوُجُودِ شَبِيهَهُ ، قَمَرٌ مُخْتَلِفٌ
عَنْ أَقْمَارِ الْأَكْوَانِ كُلِّهَا !

فَسَقُ

خاتمة

للحزن عبارات
وللآلم حروف
وللفقد أبيات
ولمن نحب ..
برديات ورسائل

غسق .. حان الفطام فقد أفلت حروفي مثل رفيقتي ،
وإنتهت عباراتي ، فقد خطت ما بقلبي جُلُهُ ،
وصببته في قالب الحروف ،
نبقى نتيه ونبحث عنها ، تلك التي تحتضنا ،
وتضمد جراحنا ، ومنها ايضاً ما كان كالمبضع على ارواحنا !

فَسَقُ

غَسَقُ

بعضُ المعارك لا مهزوم ولا منتصر ،
ولا فائز ولا خاسر ،
بعضها يكونُ الطرفين .. خاسرين

كل الدلائل تشير إلى أن الإستمرار ..
”إنتحار” !

فيتوجب عليك
جَمْعُ رقاقتِ قلبكِ وأسمالِ حربكِ البالية ،
والوداع ..
لأجلِ أن يبقى جُزؤكَ الحيُّ على قيِّدِ الحياة!

فداء محمد الكومي